نافذة على المسرح الفرنسي المعاصر

بقلم كمال عيد

عاش المسرح الفرنسي وما زال على المتناقضات الادبية ، فبينما يعتبره الاوروبيون المسرح المتقدم المليء دائما بالاختلافات الفنية والمذهبية التي تفوق في تعدد الوانها قوس قزح ، فان الفرنسيين في داخل بلادهم يعتبرونه مصدر الازمات الفنية ، وينظرون اليه دائما كنذير اشكالات فنية للمدارس المسرحية المتعددة المذاهب .

والذي يزور العاصمة الفرنسية يجد اربعين مسرحا تعرض يوميا مختلف الوان الفنون المسرحية من بينها مسرح البوليفار Boulevard حيث الزخرفة المسرحية الى جانب مسارح الجيب المختلفة حيث التجارب الجديدة لفن كتابة المسرحية والاخراج والاداء التمثيلي والديكور .

وفي عام ١٩١٤ كانت العاصمة الفرنسية باريس تعج بضعف عدد المسارح الموجودة بها حاليا ، فلقد حول مسرح Ambigu الشهير الذي بني عام ١٧٦٩ الى دار سينما لعرض الافلام عام ١٩٣٩ بعد ضجة كبيرة ، كما حول مسرح Apollo عام ١٩٣٢ الى دار سينما ايضا وكذلك انهار مسرح Empire وكذلك شمل الحال بعض مسارح الحي الشعبي الفرنسي كمسرح Théatre des Gobelins وبينما نجد المسارح قد تعدت في حي الطلبة Montmartre -- Mont Parnasse نجد ان البوليفار الكبير قد تحولت اغلب مسارحه الىدور للسينما .

ورغم هذا وذاك فالعاصمة الفرنسية التي انجبت موليير وراسين وانطوان وكوبيه ما زالت في القمة ، ولا زالت المسارح هناك تعرض الغالبية العظمى من الادب الانجليزي المعاصر والادب الايرلندي والاسكتلندي الى جانب ما تقدمه من المسرحيات الجديدة لجان انوي ويوجين يونيسكو وغيرهما .

والمسرح الفرنسي ــ ككل مسرح حديث ــ يعتبر المخرج هو الخالق المبتكر لكل شيء في العرض المسرحي ، وكما يقرر Jean Vilar من انه في الثلاثين سنة الاخيرة قد اخرجت فرنسا مخرجين ناجحين اكثر مما اخرجت مؤلفين دراميك .

ومن المخرجين الذينحملوا رسالة المسرحالفرنسيالحديث Dullin Jean-Louis Barrault, Jean Meyer, Copeau والاول من المخرجين الاعلام في المسرحالفرنسي وقد مثل دور الخادم في مسرحية «فولبون» عام ١٩٣٢ على مسرح « الاتيلييه » وظل يقدم للمسرح الفرنسي خدماته حتى اصبح مخرجا للكوميدي فرانسيز في عام ١٩٤٠ ، وفي عام ١٩٤٦ كون فرقة مسرحية خاصة به حيث عمل على مسرح Marigny . وخلال الاعوام الماضية قدم مسرحه ٤٠ مسرحية وصار من اكبر مسارح باريس مستوى . ومن بين المسرحيات التي قدموها « الليلة الملعونة » للكاتب الفرنسي سالاكرو Salacrou كما قدموا هملت لشكسبير واعمالا اخرى لموليير وماريفو Marivaux . ويمتاز المخرج Barrault بالجراة المبالغة في معالجته للمسرحيات التي يخرجها وبالبحث الجاد العميق المؤدي الى فتح نوافذ جديدة وابتكار طرق حديثة للاطار الذي تظهر فيه مسرحياته ، ويرجع ذلك الى غرامه بالمسرح واعتباره قضية حيوية ، كما ان طريقته الحديثة في الاخراج تبين تأثره بالمخرج جوردون كريج Gordon Craig ولذلك نراه ينفرد بمزية اخضاع اراء المسرحية وافكارها للفكرة التي تتولد في مخيلته فور قراءة النص المسرحي . وهو لذلك يختار الاطار الملائم لها وبحذقه يخضع افكار المسرحية لتتمشى مع ما قرره هو من صبغات وتأثيرات نفسية وفنية وسيكولوجية لخدمة النص .

وقد رشحته كل هذه الاعمال الكبيرة التي عرفها جمهور المسرح الفرنسي ليكون مديرا فنيا بعد ذلك لمسرح Palais Royal حتى عهد اليه الوزير الفرنسي Malraux بادارة مسرح الاوديون حيث عمل هناك على اخراج الاعمال الجديدة،فقدم اعمال Ionesco و Claudel وكان من اثر ذلك ان قامت مناقشات عديدة حول طرق اخراجه لتلك المسرحيات وقد ساعده على ذلك كونه ممثلا شهيرا عالما بقواعد فن الاداء التمثيلي فضلا عن كونه ممثلا للبانتوميم فجاءت اعماله متسمة بالارستقراطية الفنية العالية واطلق عليها « الواقعية الشعرية » ، وقد بعد Barrault عن الطبيعة في الفن ولم يكن يحب التعمق فيها ولم يكن يهتم ايضا بتفتيت النص طبيعيا . وفي السنوات الاخيرة عمل على اخراج مسرحيات كورناي وموليير وراسين وبومارشيه وماريفو وشيكسبير وبيراندياللو واليوت وبرتولت برخت .

والمخرج الثاني الذي تجدر الاشارة اليه هو Jean Meyer الذي عمل كمخرج اول للكوميدي فرانسيز . ومن اهم ما يتميز به تبعيته لمدرسة موليير المسرحية الى جانب ما اورده من التجديدات الحديثة في مسرحياته من حيث الشكل في الاخراج . ويتخذ المخرج لمسرح البولفار Boulevard وجهة خاصة به ، وهو في هذا لا يهتم بالوسيلة قدر اهتمامه بالغاية والمحافظة على النوع الذي يميز هذا المسرح ، ولذلك فمسرحياته تهتم بخفة الظل وهي من النوع الترويحي الذي يجلب الضحك والشعور بالأرتياح عند المتفرج .

ويتعثر هذا المسرح في سياسته الفنية اذ يعتبر الان من المسارح المتخلفة في فرنسا رغم وجوده ، ولا يمنع هذا من وجود قادة فنيين له..قادة ذوي شأن كبير في الميدان المسرحي من امثال Jacques Deval ابن مدير المسرح اليوناني الفرنسي الذي اصبح من كتاب هذا المسرح . ولقد قدم هذا المسرح مسرحيات كثيرة اهمها مسرحية Mademoiselle عام ١٩٣٢،كما قدم اعظم اعمالهواكثرها شيوعا مسرحيته Tovoritsch عام ١٩٣٣ التي صورت فيلما فيما بعد ، كما قدم بعد الحرب العالمية الثانية مسرحية Ce soir à Samarcande عام ١٩٥٠ ثم مسرحية La Prétentaine عام ١٩٥٧ وهي من الكوميديات الخفيفة التي احرزت نجاحا فنيا في محيط المستوى الذي عليه مسرحالبولفار.

ومن المؤلفين ايضا فيسماء المسرحالمعاصر المخرج Michel Duran (١٩٠٠) وهو من ممثلي مسرح الاتيلييه ، كما ظهر ايضا من المؤلفين الكاتب André Roussin (١٩١١) الذي كتبت عنه الصحفالفرنسية انه من اوائل كتاب العصر الحديث . كتب مسرحية La Petite Hutte التي اصبحت فيلما انتجته هوليود فيما بعد .

ويأتي بعد ذلك الكاتب Marcel Pagnol الذي بدأ حياته الادبية عام ١٩٢٥ حيث قدم مسرحية Les marchands de gloire وكانت بداية عادية تبعها بمسرحية Topaz

ويدخل ضمن هذه المرحلة الادبية ايضا الكاتب Marcel Achard (١٨٩٩) الذي اخرج له المخرج العلامة Dullin اولى مسرحياته عام ١٩٢٣ وكانت بعنوان Ce lui qui vivait sa mort

ويمتاز هذا الكاتب بانه امتداد لكل من ماريفو وموسيه ، وقد اشتهر ادبه بتحليله لروح المرأة المعقدة ونفسيتها وعنايته الفائقة بالاحاسيس والاحداث المسرحية فضلا عن ايراده لكثير من الخدع المسرحية التي تبهر المتفرج اثناء العرض ، كما كان يعمد الى خلط التراجيديا

هنري دو مونترلان

★ ..... ★

بالكوميديا ليخلق صورة حية تشبه في حدها فن التراجيكوميدي الحديثة السائدة اليوم. ومن مسرحياته ايضا مسرحية Nous irons à Valparaiso ثم مسرحية La Demoiselle de Petite vertu كتبها عام ١٩٤٩ ثم مسرحية Patate كتبها عام ١٩٥٦ ، وكان واضحا في كل مسرحياته الحديثة أن الترتيب المطرد يغلب عليها بل ويتفقون ايضا على الشاعرية المسرحية في النص .

ويقفز في الادب الفرنسي احد الشعراء العظام ليحتل مكانه في هذا المسرح بين كبار كتاب الدراما هو الشاعر Claude -- André Puget (١٩٠٥) الذي رغم اجادته فانه لم يصل الى المكانة الكبيرة التي وصل اليها سابقه Achard خاصة في تكنيك الكتابة . وتعتبر اكبر مسرحياته نجاحا وتمثيلا هذه المسرحية السماة باسم Les jours heureux عام ١٩٣٧ . وفي عام ١٩٤٨ قدمت له الكوميدي فرانسيز مسرحية La peine Capitale وهي من الدرامات الجادة للشاعر المذكور.

ويساهم « مسرح الادب » الى جانب هذه الحركة الادبية مساهمة فعالة في الحركة الفرنسية الحديثة . فيأتي في طليعة كتاب هذا المسرح واحد من مؤسسيه هو الكاتب جيرودو Giraudoux والكاتبان Anouilh و Salacrou اللذان سارا على منهج جيرودو ووفق تعاليمه التي اسس بها مسرح الادب . ولقد كان في مقدمة هذه التعاليم ان جو المسرحية والتأثير النابع من على خشبة المسرح لا يجب ان يتولد على انه صورة من صور الحياة ولكنه يجب ان يأخذ شكلا فنيا نابعا عن ابتكار لشيء جديد ينم عن شاعرية وليس عن نقل صورة حية للحياة .

والكاتب « جان انوي » Jean Anouilh (١٩١٠) من المع الكتاب المعاصرين الذين يقسمون ويطبعون اعمالهم المسرحية بطابعين مختلفين ومتناقضين عن بعضهما تمام التناقض . فهو تبعا لذلك يقسم اعماله الى قسمين : المسرحيات الوردية والمسرحيات المظلمة القاتمة . ولقد قدم انوي اول اعماله عندما كان في سن الثانية والعشرين من عمره بمسرحية L'Hermine وكان واضحا انه منذ محاولته الاولى قد كشف النقاب عن اسلوبه الفني في الكتابة اذ عالج وحدة الانسان التطلع الى الصفاء والى النقاء والعفة والطهارة وكان واضحا انه يعكس ذلك عمل بطلاته من امثال Thérèse و Eurldike و Antigoné و Lucile وغيرهن — كل هاته الشخصيات اللاتي يرغبن في الانطلاق ولكن دون جدوى ذلك لان الموت او الهروب يفرقهن عن المشكلة التي تعترض حياتهن.

ويسير انوي في طريقه حتى يكتسب اسمه العالمي بعد مسرحيته الشهيرة Le voyageur sans bagage في عام ١٩٣٧ ، وفي عام ١٩٣٨ تقدم له مسرحية كان قد كتبها عام ١٩٣٨ ولكنها لم تمثل طيلة اربع سنوات بعنوان La Sauvage وهي من اكبر اعماله ، فبطلة المسرحية هذه المرأة الطاهرة المسكينة التي لم تجد في حياتها شيئا الا هذا العالم الحقير الذي يتصارع الناس على ارضه من اجل المال ، ولكنها لا تعبأ بما يهتم به الناس في هذا العالم اذ تقول بالنص « اه .. يكفي ما كان من المال ومن مصائبه ويكفيني ما اصابني من الم من الناس .. انا لا اريد هذا المال .. لا اريده » .. والوقوف هنا لا يعني فقط الفقر او الغنى في المجتمع كظاهرتين على طرفي نقيض مع بعضهما البعض ولكنه يريد ان يقيم وان يستنتج من مسرحيته خطوطا ميتافيزيقية اعمق مدى .. فالصراع بين الفقراء والاغنياء لا يرجع في نظره الى مفارقات اجتماعية في مجتمع ما لظرف من الظروف ولكن المهم عند انوي هو ما يؤثر به هذا الصراع في الشخصية الانسانية وفي سريرة النفس وفي ترمومتر ضغط الدم الانساني ، وكيف انه صراع لا يمكن بسهولة العثور عليه دون التوقف عنده بعد الهزة العنيفة التي يولدها في النفس البشرية .. هذه الهزة التي تقلب الشهور الانساني الذي لا يجد عادة حلا لذلك .

وفي عام يقدم المسرح نفسه مسرحية Y avait un prisonnier وهي مسرحية مستمدة من احد موضوعات جيرودو القديمة اعاد انوي كتابتها ، وموضوعها يفضح البرجوازية ، وهي من مسرحياته التي تنتهي بنهاية سعيدة .

ويتابع انوي جهاده في خدمة المسرح الفرنسي فيعود الى موضوعات المسرح الاغريقي ، ويكتب من « انتيجوني » لسوفوكليس انتيجوني جديدة وذلك عام ١٩٤٢ ولكنها لا تعرض الا في عام ١٩٤٤ بعد دخول الالمان الى فرنسا في الحرب العالمية الثانية . وفي عام ١٩٤٤ يكتب ميديا Medéo ولكنها لا تمثل ايضا الا في عام ١٩٥٣ لاول مرة . والحقيقة انها لم تصل في مستواها الفني الى مستوى الاعمال الكبيرة التي قدمها انوي للمسرح. ثم تبعها عام ١٩٥٩ بمسرحية Becket ou l'honneur de Dieu

وفي عام ١٩٦١ يهدي للعالم مسرحيته La Grotte حيث يوضح فيها بشدة خطين هامين ، في اعلا خط السادة وفي اسفل خط الخدم.

ويتضح من اعمال انوي ان الصراع الدرامي عنده لا يجد حلولا تتصل باللغة او اللهجة ، وكان واضحا انه يعمل على ابراز العالم بما فيه من حسنات واثام .. الخير يمثله القليل النادر من الناس والشر يزخر ممثلوه بالادوار .. فهم كثرة على حد تعبير انوي .

وجان انوي يعتبر على ذلك من الكتاب المتشائمين في العصر الحديث ، وتشاؤمه وادبه وفلسفته هي التي كونت اسمه . لذلك فاغلب مسرحياته تتسم بالكآبة والتشاؤم وعدم الامل . يقول روبرت دي لوبيه Robert de Luppé عن انوي : انه يسأم من الحياة بل هو يزدريها ومسرحياته لذلك خالية من الامل ولا توحي بالمستقبلية .. واضرب مثلا لذلك انتيجوني أجمل بطلات المسرحية في تكوينها وشخصيتها هي ايضا لا تدري لماذا تموت .. وموتها عند انوي ليس عظيما كما هو الحال عند سوفوكليس ولكنه موت اليائس الحزين. وعلى هذا نرى ان ابطال انوي البؤساء منهم والعظماء كذلك لا يتصارعون مع المجتمع ولا يتولد الصراع عندهم في الحياة نتيجة لذلك بل هم يعيشون فيما اسموه « خارج نطاق المجتمع » فهم مثلا لا يحسون القانون

ولا يفكرون بالتالي في عواقبه ولا توجد في داخلهم الوجدانيات التي يمكن ان تكون كامنة في الانسان .. ولذلك فاغلب شخوصه يسقطون وحدهم في الحياة بعد ذلك الصراع الاعمى الذي يقومون به .. وليس ادل على ذلك من الحوار الذي يأتي على لسان شخصية Saint-Pé في مسرحيته La Valse des taréadors

جرب انوي حظه ايضا في الكوميديا . فكتب عام ١٩٣٢ مسرحية لم تمثل الا في عام ١٩٣٨ بعنوان Le Bal des Voleurs وهي مسرحية شبيهة الى حد ما باعمال موليير ، ثم تبعها عام ١٩٣٩ بكوميديا اخرى بعنوان Léocadia وكان واضحا أن انوي في اعماله الكوميدية يحاول ملأها بكثير من التعقيدات العصرية .. فضلا عن ان كوميدياته كان يغلب عليها طابع بيراندللو في الكتابة .

وفي عام ١٩٤٧ كتب مسرحية L'invitation au Château وفيها يبين صراع فتاة نظيفة فقيرة تختلط بالعالم القذر المليء باساليب الثروة والمال. ثم يكتب عام ١٩٤٨ مسرحية Ardéle ou La Marguerite وهي من الفودفيل الكلاسيكي ثم يتبعها عام ١٩٥٠ بمسرحية La répétition ou L'Amour puni وفي عام ١٩٥٢ يكتب الساتيرية La valse des taréadors ويتابع اعماله بعد ذلك فيقدم عام ١٩٥٦ مسرحية Pouvre Bitas ou le Riner de têtes وهي من كوميديات الرجعية ولم تنل نجاحا كبيرا . وفي عام ١٩٥٩ يعرض احدث مسرحياته L'Hurluberin ou le réactionnaire amoureux

وقبل ان اختتم اعمال انوي العظيم اذكر له احدى مسرحياته التي وزعت ككتاب عن احدى دور النشر الفرنسية الا وهو مسرحية L'Alouette التي تمتاز بطابعها الغريب اذ لم تكن لا تفاؤلية ولا تشاؤمية بل كانت من النوع الوسط على غير عادة انوي ...

ومن اعلام مسرح الادب ايضا ارماند سالاكرو Armand Salacrou المولود عام ١٨٩٩ وهو من اعلام الادب الفرنسي .. تعرض لهجوم عنيف من بعض النقاد والكتاب في مستهل حياته الادبية والفنية وشبهه احد النقاد مرة بان اعماله ذنبات لانوي . والحقيقة أن بين الكاتبين الفرنسيين الكبيرين فرقا شاسعا يميز كتابة كل منهما .. فسالاكرو انساني اكثر ومعتدل في احكامه وحلوله الدرامية التي يضعها لمسرحياته واعماله الى حد اكبر منه عند انوي .. فضلا عن ان الواقعية الموجودة في ادب سالاكرو لا تنتهي دائما الى الدمار والى التشاؤم شأنها عند انوي .. تماما كما قال توفرو Tuffrau « من ان الكاتبين العظيمين يرويان ظما العالم الى المسرح كل منهما بطريقته المتميزة .. الا ان اعمال انوي بها بعض الخراب غير المتوفر عند سالاكرو » .

وتظهر اول اعمال سالاكرو الادبية في عام ١٩١٦ .. ولقد كتب مسرحياته الاولى في ظل مولد قواعد الفن الجديد السيرياليزم .. وكان لا بد ان تنطبع احاسيس هذه الظاهرة الفنية على اعماله الاولى التي لم يقدر لها النجاح . امثال مسرحيات Le Casseur d'Assiettes في عام ١٩٢٢ ثم تبعها عام ١٩٢٥ بمسرحية A terre ثم بمسرحية Le Pont de Tour L'Europe عام ١٩٢٧ . بعد ذلك دخل سالاكرو في طور اخر اصبحت مسرحياته تنجح فيه بعض الشيء .. وهي المرحلة الثانية في كتاباته . فكتب في هذه المرحلة مسرحية Patchouli عام ١٩٣٠ وقد نجحت نجاحا عاديا رغم انها اثارت بعض الضجة لدى الكتاب والنقاد الفرنسيين ، فقال عنها جيرودو بالحرف الواحد « ليست هذه مسرحية لشاب .. ولكنها مسرحية الشباب » .. وعالجت المسرحية موضوع الحب والحياة ، والصراع الذي يلقاه الشباب في اطار كوميدي جذاب .. ولقد مثلت المسرحية ٢٨ يوما فقط . بعد ذلك وفي عام ١٩٣١ كتب Atles -- Hotel التي احرزت ايضا نجاحا متوسطا ، بعد ذلك كتب ثلاث مسرحيات في دور نجاحه المتوسط كانت على التوالي La vie en rose عام ١٩٣١ ، Les Frénétiques عام ١٩٣٤ وهي ساتيرية اصبحت فيلما فيما بعد.. ثم Une Femme libre عام ١٩٣٥ .

جان انوي

★ ..... ★

ويدخل بعد ذلك سالاكرو في طوره الثالث . وهي المرحلة الثالثة مرحلة النجاح في تاريخ حياته الادبية فيكتب Inconnue d'Arias وتدور حوادثها حول امرأة قاتلة تعاني في اخر لحظات حياتها وتعيش مرة اخرى حياة اخرى من داخل نفسها .. هي حياة الخطيئة. وحالفه النجاح بعد ذلك ايضا في مرحلته الجديدة عام ١٩٣٦ حيث كتب مسرحية بعنوان Un homme comme les autres وهي كوميدية اتماط بطلها شخصية تدعى راؤول Raoul يظهر امام الناس وكأنه سيد ريفي محترم وهو في حقيقته مخادع حقير . وفي عام ١٩٣٨ يكتب La terre est ronde وهي تعد من مسرحياته الفلسفية الدرامية . وبعد سنة واحدة يكتب مسرحية Histoire de rire التي تصادف نجاحا كبيرا .

وبعد الحرب العالمية الثانية اعتمدته الكوميدي فرانسيز وقبلت اعماله لتمثل على مسرحها .. وفي عام ١٩٤٤ استطاع أن يقدم من اعماله هناك مسرحية Les Fiancés du Havre وهي من الساتيريات المضحكة التي تسخر من البرجوازيين الريفيين .. ثم يقدم في عام ١٩٤٥ مسرحية جديدة بعنوان Le Soldat et la Sorcière وكان يميز هذه المسرحية أن بها انفاسا من روح الكاتب الانجليزي برنارد شو . فهي من الكوميديات الخفيفة التي تحوي بعض الانتقادات . وفي عام ١٩٤٦ مثلت فرقة مسرح Barrault له مسرحية Les Nuits de la Colére ثم يقدم في عام ١٩٤٨ ساتيريته المعروفة باسم L'Archipel Lenior وهي من اخر اعمال المخرج

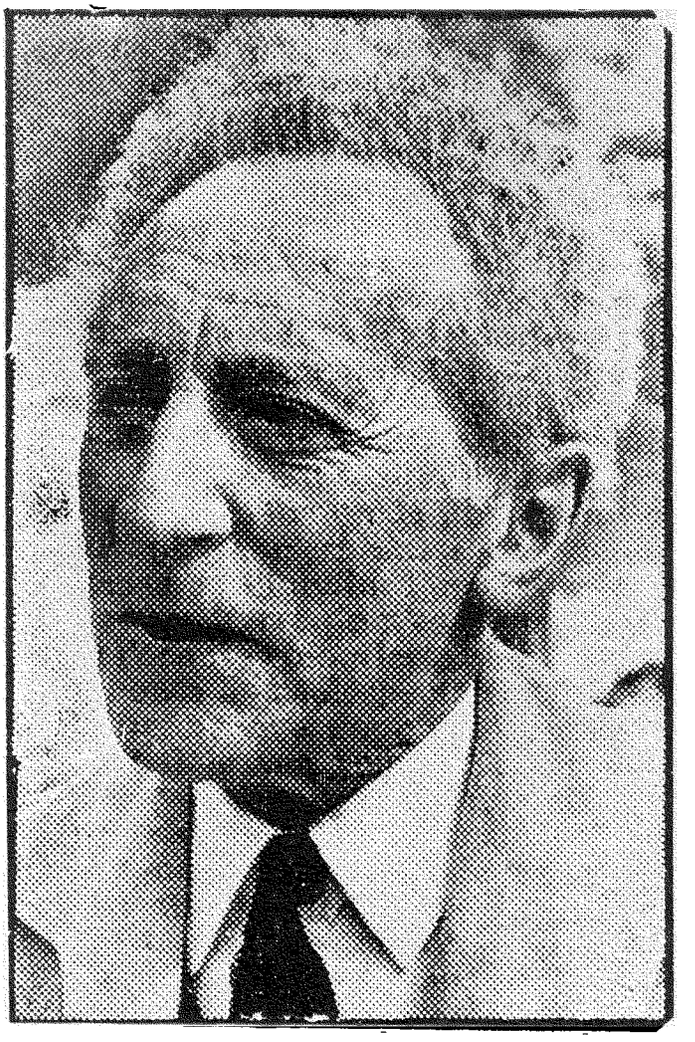

جان كوكتو

★ ..... ★

دولين الناجحة . وفي عام ١٩٥٠ يكتب سالاكرو كوميديا جديدة تعتمد اعتمادا خالصا على الباليه مجربا بذلك شيئا جديدا وتجربة جديدة في المسرح فتظهر له Poof وكان الواضح منها انه عاد الى افكاره القديمة التي كانت تسيطر عليه عند بداية طريق الفن الا وهو الانطباع بالمذهب السيريالي .. وفي نفس العام قدمت له مسرحية ثانية بعنوان Dieu le savait ou La Vie n'est pas sérieuse وهي من اكبر المسرحيات المعقدة التي كتبها والتي تحتوي على مفاهيم كفر والحاد في اطار ساتيري . ثم يكتب في عام ١٩٥٤ مسرحية Invités du Bon Dieu وهي فودفيل فلسفية . وفي عام ١٩٥٥ يقدم Une Femme trop Honnette وهي من الساتيرات المضحكة .

ويعتكف سالاكرو بعض السنوات عن الكتابة فلا تظهر له الا في عام ١٩٦٠ مسرحيته الدرامية الاجتماعية Boulevard Durand من فصلين اثنين في ١٤ مشهدا ، وبطلها جولين دوراند رئيس احدى النقابات الذي يساق في محاكمة ظالمة الى الموت .. والخطوط المسرحية التي حوتها المسرحية المذكورة ترجع احيانا الى عهد طفولة المؤلف نفسه والظروف التي مر بها .

والواضح ان سالاكرو من الكتاب المنتجين فنيا مثل زميله انوي فقد كتب تقريبا بمعدل مسرحية سنويا . وهو بمجهوده الجبار هذا من اجل الاعلاء بشان المسرحية وشان الادب المسرحي الفرنسي قد افسح لنا مجالات واسعة للتعرف على مزايا ادب بلاده والبيئة الفرنسية وتناول مشاكل حيوية في اطار ساتيري كشفت عن المجتمع الفرنسي وظروفه التي يمر بها وذلك من خلال اعماله الادبية التي كتبها .

واذا كنا في سبيل استعراض الاعمال الفرنسية الحديثة الادبية منها والفنية فلا بد ان نذكر والحالة هذه الكاتب Henry de Montherland الذي لم تظهر اعماله الأدبية الا منذ عهد قريب فقط (في عام ١٩٤٢) .. وهو كاتب مسرحي ذو طابع خاص عرف به بين الفرنسيين .

اول مسرحية له قدمت في مسرح الكوميدي فرانسيز قبل دخول الالمان الى فرنسا في الحرب العالمية الثانية ، ولقد طبعت المسرحية في كتاب عدد نسخه ١٥٠٠٠ نسخة نفدت في ساعات ، وعنوان المسرحية La Reine Mort وفي عام ١٩٤٣ قدم ثاني مسرحية له Fils de Personne وفكرتها قديمة طرقت اكثر من مرة في المسارح المختلفة . وهي موضوع التضحية بين الابن والاب .. ولكن الثابت انه اورد المسرحية في معالجة شيقة جديدة الاسلوب بل وفي اطار عصري حديث . كما قدم في عام ١٩٤٩ Demain il sera jour وكان واضحا منها ان المؤلف نفسه به نزعة داخلية الى عصر النهضة وكلاسيكيته وتقاليده واشكاله .. ثم كتب في عام ١٩٥٠ مسرحية Malatesta التي كانت طبعت في كتاب وزع عام ١٩٤٦ وهي من نوع الدراما .. كما قدم مسرحية اخرى في نفس العام بعنوان La Ville dont le Prince est un Enfant والغريب انه لم يسمح بتقديم هذه المسرحية على خشبة المسرح ابدا .. بل سمح فقط بتسجيلها على احد الاشرطة .

وبعد كل هذا الحشد من المسرحيات استطيع ان اقول ان الواضح من كل كتابات المؤلف انه لم يكن له خط درامي خاص يتميز به او يحدده اذ كان مشتت الاهداف في كتاباته لم يحددها شكل او هدف وقد كتب عنه ذلك ايضا Picon .

ويأتي بعد ذلك مؤلف فرنسي اخر له شانه في الحركة الادبية الجديدة هو الكاتب اندريه اوبيه André Obey الذي كتب اول مسرحياته بناء على توصية من كوبيه .. وجدير بالذكر ان اوبيه قد قام بعمل مسرحيتين اعدادا من المسرح الاغريقي القديم اولهما اوديب السوفوكليسية عام ١٩٤٧ والاورستية الاسكيلوسية عام ١٩٥٥ .

وكانت اول اعماله الناجحة مسرحيته Woé حيث قدمها عام ١٩٣١ ورغم انسجامها الشعري كمسرحية الا انها لم تكن قوية الحبكة الدرامية من ناحية الفكرة التي اوردها اوبيه مسرحيته . فالمسرحية ـ كما اطلق عليها النقاد الاوروبيون ـ « دراما العقيدة وعدمها » .. وقد حاول فيها المؤلف الالتصاق بالانجيل وافكاره وتفسيراته . وفي نفس عام ١٩٣١ قدمت له مسرحيته ثانية Le viol de Lucréce وهو فيها يتبع احد الموضوعات من اعمال شيكسبير الشعرية ولم تكن مسرحية قوية ايضا من ناحية بنائها الدرامي . وفي عام ١٩٣٤ يكتب Don Juan ثم يعيد مرتين في عام ١٩٣٧ كتابة مسرحيته Le trompeur de Seville .. وفي عام ١٩٤٩ يقدم L'Homme de Cendres .. ومن احدث اعماله عام ١٩٥٨ مسرحية Le Trois Coups de Minuit وهي من المسرحيات الناجحة التي تدور احداثها في القرون الوسطى في بلاد الانجليز والتي تحتوي على افكار عن المسيح وماريا ومعجزاتها الخارقة .

وهناك ايضا في سماء الادب الفرنسي اسماء كثيرة اذكر منها الشاعر تشارلس فيلدراك Charles Vildrac المولود عام ١٨٨٢ وهو من الشعراء التقدميين ، وقد كتب مسرحية نالت شهرة كبيرة ونجحت نجاحا عظيما هي Le Paquebat Tenacity التي قدمها عام ١٩٢٠ وكذلك المؤلف بول راينال Paul Raynal (١٨٨٥) وله محاولات واراء عديدة في فلسفة التراجيديات القديمة .. وقد كتب عام ١٩٣٨ Le Matériel Humain ولكنها لم تعرض على المسرح الا في عام ١٩٤٨ وهي من المسرحيات التي تعارض الماتيريالية في مبادئها .

ثم هناك ايضا الكاتب جابريل مارسيل Gabriel Marcel وقد ولد عام ١٨٩٩ وهو من الكتاب الذين جلبوا الى فرنسا فلسفة (هايداجر) قبل سارتر بفترة طويلة .. ومن اقرب اعماله Rome n'est plus dans Rome التي ترتكز على فكرة الحرب الباردة . وقد نالت نجاحا كبيرا عند تمثيلها في فرنسا .

كل هؤلاء النفر العظيم من المؤلفين الفرنسيين هم كتاب المسرح الفرنسي الحديث الذين يعتبرون مهنتهم ووظيفتهم في الحياة هو خلق الدراما الحديثة بشطريها الكوميدي والتراجيدي .. وهناك الى جانب هؤلاء الكبار كثيرا ايضا من كتاب النثر الذين بمحاولاتهم ونجاحاتهم وتغلبهم على المشاكل الدرامية قد حققوا اعمالا هامة في الادب الفرنسي .. اذكر منهم سارتر وكامي وروبلين وفيتزند ودرارن ومارسيل ايميه الذي احتل مكانا بارزا في عالم السايكيريات الحديثة .

ثم هناك ايضا واحد من الذين لعبوا دورا خطيرا في المدرسة الادبية الحديثة في المسرح الفرنسي .. فهو ليس كاتبا او شاعرا او مؤلفا فقط بل كان في يده على حد تعبير معاصريه من النقاد والادباء الف صنعة فنية في المسرح .. انه جان كوكتو الذي قدم في بدء حياته الفنية عملا جديدا اطلق عليه (رقص سيريالي) ولم يسلم طبعا وقتذاك من المشاكل والاراء التي هاجمته والتي تنشأ عادة عن ارتطام الصراع بين القديم والجديد ، بين المألوف والحديث .. ثم قدم في عام ١٩١٧ قطعته الفنية Parade التي صمم لها الرسام بيكاسو مناظرها كما وضع موسيقاها الفنان « اريك ساتيه » .. وفي عام ١٩٢٠ قدم ساتيريته المعروفة Le boeuf sur le Toit وتبعها في عام ١٩٢٢ بمسرحية Les Mariés de La Tour Eiffel .. وكتب في عام ١٩٢٦ بعد ذلك مسرحية بعنوان Orfhée وقد عالج فيها مشكلة اورفيوس .. الشخصية الموجودة في المسرح اليوناني .. وذلك في اطار حديث .

وفي عام ١٩٣٤ يكتب مسرحيته Machine infernale وكان واضحا فيها انه متأثر بالميثولوجيا اليونانية نتيجة ترجمته لمسرحية اوديبوس لسوفوكليس التي قدمت عام ١٩٢٨ ونالت نجاحا باهرا ـ وفي عام ١٩٣٠ عمل من جديد في ايراد شكل جديد في البوتقة الفنية فخرج بباليه مسرحية من فصل واحد بعنوان La Voix Humaine ثم قدم عام ١٩٣٨ مسرحية بعنوان Les Parents Terribles وهي من نوع الميلودرام وتقع في ثلاثة فصول .. وفيها حاول جان كوكتو ان يثبت ان دقة الصراع في المسرحية هي كل شيء ، وان من هذه الدقة وحدها انما تنبع الدراما في المسرحية سواء اخذت في طريقها عن طريق علم النفس او طريق المشاكل الاجتماعية او مشاكل النقد البيئي .

وفي عام ١٩٤٥ يقدم كوكتو للمسرح مسرحية تدور حوادثها حول حياة المسرح بعنوان Les Montres Sacrés كما قدم كوكتو مسرحيتين كان واضحا ان الرومانتيكية طابعهما . اولهما كتبها عام ١٩٣٧ بعنوان Les Chevaliers de la Table Ronde والثانية كتبها عام ١٩٤٦ بعنوان L'Aigle à Deux Têtes وهي من الاعمال الرومانسية التراجيدية التي تبحث في عصر الملكة اليزابيث ملكة انجلترا .

وفي عام ١٩٥١ يقدم مسرحية Bacchus وهي من الاعمال الناجحة التي استحضر فيها كوكتو شكلا جديدا من اشكال الدراما كاسرا بذلك الشكل التقليدي لفن ادب كتابة المسرحية .

ثم تأتي المرحلة الجديدة المسماة بمسرح العبث واللامعقول .. والمرحلة من التجارب الجديدة في الادب الفرنسي المعاصر .. ولقد اثار هذا المسرح ضجة كبيرة في كل مكان عرضت فيه مسرحياته .. واسباب منبع أدب اللامعقول او العبث ترجع الى الحرب العالمية الاولى والظروف البيئية التي ادت الى ظهور هذا النوع الخاص من الادب .. ثم تأتي الحرب العالمية الثانية لتترك في النفوس ما تتركه من الخوف والهلع والرعب .. والذعر باشكالها المتعددة وتصل هذه الاشكال الى القصة كعمل ادبي ومنها تأخذ طريقها الى المسرح الجديد .. ومسرح اللامعقول وادبه المتميز بالرعب والفظاعة المتولدة في نفوس شخصياته المسرحية ولد ادبا جديدا في العاصمة الفرنسية وله مسارح خاصة به تمثل عليها اعماله للكتاب بيكيت ويونيسكو وادامو وارابيل وغيرهم .

ولقد بدأت هذه الموجة الادبية تسود فرنسا في اوائل عام ١٩٤٩ حينما قدم احد المسارح الصغيرة في حي الطلبة مسرحية من فصل واحد للكاتب الروماني الاصل يوجين يونيسكو بعنوان La Cantatrice chauve .. ويونيسكو من مواليد ١٩١٢ رحل الى باريس عام ١٩٣٨ في مهمة حكومية ليكتب بحثا بعنوان « الموت وافكاره في الشعر الحديث » ولم يتم يونيسكو بحثه المكلف به من قبل حكومته ولكنه استوطن فرنسا . وبعد عشر سنوات قدم للمسرح الفرنسي مرحلة جديدة خطيرة في تاريخ الادب الفرنسي المعاصر .. ولا زالت مسرحيته الاولى حتى يومنا هذا تمثل على مسارح باريس وريفها ومسارح العالم اجمع .. والمسرحية ليست كثيرة الحوادث ، الا ان بها فضحا لحياة الطبقة المتوسطة وتفاهتها .

ثم يكتب يونيسكو ثاني مسرحية له وهي ايضا من ذات الفصل الواحد بعنوان الدرس La Leçon وذلك في عام ١٩٥٠ ومنذ عدة سنوات والمسرحية لا زالت تمثل بنجاح على مسرح Huchette بباريس .. وهي عن حادثة مدرس عجوز على شيء كبير من الثراء تطرق بابه احدى الطالبات الغبيات تبغي درسا ، وتتوالى الاحداث بينها وبين الاستاذ ليقتلها في نهاية المسرحية حتى يهدىء من نفسه المتأججة بعد ان يجد انه ليس بمستطيع التصرف الى احسن من هذا . ويونيسكو في افكاره بهذه المسرحية يؤيد الفاشستية باجرامها وافكارها .. والمسرحية في اولها ضاحكة بعض الشيء ولكنها تسير الى القتامة رويدا رويدا حتى النهاية .. وهذا الاسترسال من موقف الى موقف بميزان دقيق من اهم المزايا الموجودة في النص والتي ترتفع به الى مرحلة الاكتمال الدرامي .. وبهاتين المسرحيتين السابقتين استطاع يونيسكو ان يخدر العقول بفن جديد وان يسحر النفوس والالباب . ولم تمض بضع سنوات حتى كانت اعماله فوق خشبات المسارح الاوروبية جميعها ووصلت الى مرحلة ان مثلت هذه الاعمال في ثلاث دور للمسرح في وقت واحد في العاصمة الفرنسية باريس ـ احدها كان مسرح اوديون وهو المسرح الثاني التابع للمسرح القومي الفرنسي .

وفي عام ١٩٥٢ يكتب مسرحيته Les Chaises ثم كتب عام ١٩٥٣ مسرحية Jaques, ou La Soumission .. ولم تنجح كل اعمال يونيسكو ذات الفصل الواحد فقد كتب ايضا في عام ١٩٥٣ مسرحية بعنوان Les Victimes du devoir لم تصب من النجاح كثيرا .

وفي عام ١٩٥٤ يكتب يونيسكو اولى محاولاته في المسرحية الطويلة ذات الثلاثة فصول فيكتب مسرحية كوميدية بعنوان Amédée, ou Comment s'en débarrasser ?

ثم يكتب في نفس السنة مسرحية Le Nouveau Locataire «المستأجر الجديد» حيث يتزايد الاثاث في مسكن جديد حتى يضيق على خناق الساكن الجديد . وفي عام ١٩٥٨ يكتب في ثلاثة فصول مسرحيته

في البحرين

تطلب « الاداب » وكتب « دار الاداب »

من

الشركة العربية للوكالات والتوزيع

شارع المتنبي

Le tueur sans gages

ويتبعها عام ١٩٥٩ بمسرحية Le Rhinocéros

صموئيل بيكيت

كان واضحا ان يونيسكو كاتب مسرحيات من ذات الفصل الواحد من الطراز الاول اما مسرحياته الطويلة فلم تصادف نجاحا كبيرا. واذا كنا في مجال الحديث عن يونيسكو ككاتب درامي فلا بد ان نذكر ما صاحب خط الفن وهو انه كان على طرفي نقيض مع ارسطو وقواعده ومعقولياته في المسرح ويتضح ذلك جيدا في مسرحيته Victimes du Devoir اذ يأتي على لسان احدى شخصياتها التي تحمل وجهة نظر المؤلف يوجين يونيسكو انه لا يحلم او يعمل بقواعد ارسطو المسرحية في الدراما او اساليبها او اشكالها وانما ما يهم هو شيء اخر .

***

يقول يونيسكو نفسه « انا لي معقوليات اخرى ومفاهيم ثانية في كتابتي .. لدي بواعث نفسية تختلف عن القديمة .. وانا اقدم التضاد نفسه نابعا من اشكال عدم التضاد . نحن لسنا انفسنا .. والشخصية لا تتبع شيئا .. في داخلنا قوى متعارضة وقوى غير متعارضة تعمل . والشخصيات فينا تفقد شخصياتها وتبعيتها في اطارها غير المنسق .. وكل بطل رجل اخر غير نفسه » .. هذه هي دراماتوجية يونيسكو الجديد وتعاليمه في ادبه الجديد .

ويقف الى جانب يونيسكو في الادب الجديد الكاتب صمويل بيكيت .. واولى مسرحياته خطت خطوطا جديدة في الادب الفرنسي وقدمت عام ١٩٥٣ بعنوان في انتظار جودو En attendant Godot .. جابت هذه المسرحية مسارح العالم جميعها من بون الى المكسيك ومن هلسنكي الى بونس ايرس ولمس الجميع منها عالم بيكيت الخرب الذي اراد تصويره في مسرحيته مع استراجوف وفلاديمير بطلي المسرحية .

وفي عام ١٩٥٧ يكتب مسرحية نهاية اللعبة Fin de Partie التي مثلت اول ما مثلت على مسارح لندن .. وقد كشفت مسرحيته الجديدة هذه عن مرحلة الامل وبواعثه وحكم بيكيت عليها ورأيه الشخصي فيها .. ففي مسرحيته الاولى كان الامل موجودا فقد يمضي جودو . بينما نجد في المسرحية الثانية ان بيكيت قد اعطانا مفهوما اخرا في مسرحيته نهاية اللعبة بالنسبة لهذا الامل .. وتمضي المسرحية قرابة الساعتين تلف حول نفسها بلا احداث اللهم الا من اربعة اشخاص يحتضرون امام الجمهور حيث خرجت الارض والاربعة في فترة ما بعد نهاية العالم .

واذا كان مسرح اللامعقول والعبث قد قام بافكاره الجديدة على اكتاف يوجين يونيسكو وصمويل بيكيت فانه لزاما علينا ان نذكر كاتبا ثالثا من كبار كتاب الادب الجديد باشكاله الدرامية الحديثة .. الا وهو ارثر اداموف .. ولد عام ١٩٠٨ وهو ايضا من النازحين الى فرنسا وقد قام بترجمة بعض اعمال كلايست وجوجول واسترندبرج وغيرهم الى اللغة الفرنسية .

تعلم اداموف كثيرا من التعبيرية الالمانية ومن برتولت برخت. ولقد بدأ اعماله الادبية في فترة زمنية واحدة مع يونيسكو واولى مسرحياته بعنوان L'Invasion مثلت لاول مرة عام ١٩٥٠ وبعدها بسنتين قدم للمسرح الفرنسي مسرحية La Grande et la Petite Manoeuvre ثم تبعها بمسرحية La Paradie . وامتازت اعمال اداموف بالتعبيرية الفاضحة والتعرية الكاملة للاحداث ، كما كان يستعمل الرمزية احيانا في بعضها ويتضح ذلك جيدا في مسرحيته الثانية المذكورة La Grande et la Petite Manoeuvre .. اما مسرحيته الثالثة La Paradie فقد كان واضحا فيها تأثره بالكاتب فرانز كافكا من حيث ابرازه فيها طرق الحياة المسدودة ووجوهها غير الطبيعية التي لا تخضع لاي منطق .. ثم يكتب مسرحية اخرى بعنوان Nous sommes commes nous avons été ثم مسرحية اخرى بعنوان Professeur Taranne «الاستاذ تاران» التي يبني احداثها على نظريات فرويد .

عمل بعد ذلك اداموف كمدير انتاج لمسرح الشعب الفرنسي ثم مديرا لمسرح العمال الفرنسي في احدى ضواحي ليون .

بعد ذلك قدم مسرحيته Paodo Paolit من ١٢ لوحة واتت مسرحيته هذه بنكسة ادبية غريبة لادبه السابق اللامعقول العبثي .. فقد عاد بهذه المسرحية الى الافكار المسرحية المعروفة التقليدية والقواعد السليمة لكتابة المسرحية مبتعدا عن الاغراب وكانت الشخصيات في المسرحية مقنعة تعيش فعلا في حياتها دون تعقيدات او جرائم او همسات داخلية . فمن بين هذه الشخصيات احد العلماء ومن حوله بقية الشخصيات يكذبون وينفعلون بالحياة القائمة حولهم يحسون بها (مما لا وجود له في ادب يونيسكو او بيكيت اطلاقا) .. ومن بين الشخصيات ايضا امكننا العثور على صاحب مصنع وكاذب ومحتال كشخصية طرطوف في مسرح موليير .

ولقد اعتبر الادباء والنقاد هذه المسرحية عودة باداموف وافكاره الى الواقعية الحديثة السائدة في معظم الاداب المسرحية القائمة اليوم والتي سبقت ادب العبث واللامعقول .

وختاما لمقالي ارجو ان اكون قد وفقت في اعطاء القارىء العربي الكريم صورة سريعة عن اشكال المسرح الفرنسي المعاصر .

القاهرة — كمال عيد